جامعة تكريت

كلية التربية للبنات

قسم اللغة العربية

المرحلة الثالثة

المادة : النقد العربي القديم

عنوان المحاضرة : النقد في عصر صدر الإسلام

إعداد : الدكتور وسام سعود حسين داود العزاوي

المرحلة الثالثة / قسم اللغة العربية

كلية التربية للبنات / جامعة تكريت

٢٠٢٣ – ٢٠٢٤

wesamalazawy@tu.edu.iq

النقد في عصر صدر الإسلام

كان عصر بعثة حافلاً بالشعر، فياضاً به ، وإن ضُعف في بعض نواحيه ، فالخصومة بين قريش والنبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه من ناحية ، وبين قريش والعرب من ناحية أخرى كانت عنيفة جادة لم تقتصر على السيف والسنان، بل امتدت الى البيان والشعر، وإلى المناظرات والجدال والمناقضات بين شعراء المدينة وشعراء مكة ، وغير مكة من الذين خاصموا الإسلام كان شعراء قريش ومَنْ والاهم يهجون النبي وأصحابه ، وكان شعراء الانصار يناقضون هذا الهجاء ، ولعل ذلك أول عهد حقيقي للنقائض في الشعر العربي ، ولعل تلك الروح هي التي أنهضت هذا الفن .

كانت قريش تجزع كل الجزع من هجاء حسان بن ثابت، ولا تبالي بشعر عبدالله إبن رواحة ، وكان ذلك قبل أن تسلم ، فلما أسلمت رأت في الشعرين رأياً أخر ، فقد كان حسان بن ثابت يطعن في أحسابهم ، ويرميهم بالهنات التي تنال من العزة الجاهلية ، وكان عبدالله بن رواحة يعيرهم بالكفر، ثم أسلموا وكان شعر إبن رواحة هو الذي يحز قلوبهم حزا ، فهم إذن كانوا يرون حساناً أعظم الشعراء الخصوم.

ومن جهة أخرى كان المهاجرون والأنصار يعدون حساناً الشاعر الذي يحمي أعراض المسلمين ، يبعثون في طلبه حين تفد الوفود، فيبلغ من حاجتهم مالا يبلغه صاحباه ابن رواحة وكعب بن مالك، والكلام كثير في أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لما قدم المدينة تناولته قريش بالهجاء ، وهجوا الانصار معه ، وأن عبدالله بن رواحة ردَّ عليهم فلم يصنع شيئاً، وأن كعب بن مالك لم يشف النفس، وإنما الذي صنع وشفى وصب على قريش من لسانه شأً بيب شر هو حسان ، والكلام كثير في استماع النبي لحسان ، وأن المسلمين

كانوا يعتمدون إعتماداً حقيقياً على حسان في هذا الضرب من النضال، لِمَ ذلك ، لأنهم كانوا يرون الملكة الشعرية في حسان أنضج منها في سواه ، وهنا روح النقد ظاهرة واضحة في مكة والمدينة .

ولم يكن النبي (صلى الله عليه وسلم) يتحرج من الشعر ، ويتألم بالقدر الذي يظنه كثير من الناس ، وليس بدعاً أن يعجب بالشعر العربي كما يعجب به أصحاب الذوق السليم ، فقد أعجب بشعر طرفة بن العبد يروى أنه أُنشِدَ النبي (صلى الله عليه وسلم) هذا البيت له أي لطرفة بن العبد :

ستبدي لك الأيام ماكنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار مِنْ لم تزودِ

فقال : هذا من كلام النبوة ، وأعجب بشعر النابغة الجعدى ، وقال له : ((لا يفضض الله فاك)) وبلغ أستحسانه لـ((بانت سعاد)) لكعب بن زهير ، وأصفح عنه وأعطاه بردته ، استمع الى الخنساء واستزادها مما تقول ، وتأثر تأثراً رقيقاً لشعر قتيلة بنت النضر، وهو الذي دعا حسان بن ثابت ليجيب وفد تميم ، وهو الذي قال :((إن من البيان لسحراً)) و((إن من الشعر لحكمة)) .

وظاهر أن هذا النقد لا يزال فطرياً ، فلم نجد أحداً أبان عما أعجب به في الشعر، أو ذكر سبباً لتفضيل شاعر وقد ظلت وفود العرب تأتي الى المدينة في عهد الخلفاء الراشدين وتجمعهم أنديته ، فيخوضون في رجالات الجاهلية من شعراء وأبطال والوجهاء ، وقد يخوض الخليفة في بعض ما يخوضون ، وأخص الخلفاء الذين عرف عنهم ذلك عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وكان عالماً بالشعر ، تحدث مرة مع وفد غطفان فقال :

أي شعرائكم الذي يقول :

أتيتك عارياً خلقا ثيابي على خوفٍ تُظَنُّ بيَ الظنونَ

قالوا : النابغة ، وقال أي شعرائكم الذي يقول :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسك ريبةً وليس وراءَ الله للمرءِ مَذْهبُ

قالوا : النابغة ، وقال فأي شعرائكم الذي يقول :

فإنكَ كالليل الذي هو مُدركي وإن خِلتُ أنَّ المنتأي عنك واسع

قالوا: النابغة ، قال ، هذا أشعر شعرائكم ، فالنابغة في نظر أو رأي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أشعر غطفان ، أشعر شعراء عبس و ذبيان ، أشعر من عنترة ، ومن عروة بن الورد ، ومن الشماخ بن ضرار ، ومن مزرد أخيه .

ولكن شيئاً أخر يروى عن عمر ولا يتمشى مع ما سبق ، يقول ابن عباس : قال لي عمر لليلة مسيره الى الجابية في أول غزوة غزاها هل تروي لشاعر الشعراء ؟ قلت ومن هو ؟ قال الذي يقول :

ولو أنَّ حمداً يُخلِدُ الناسَ أخلدوا ولكن حمدَ الناسِ ليس بمخلدِ

قلت: ذلك زهير ، قال : فذاك شاعر الشعراء ، قلت: وبم كان شاعر الشعراء ؟ قال : لأنه كان لا يعاظل في الكلام ، وكان يتجنب وحشي الشعر ، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه .

والظاهر أن هناك تعارضاً في الحكمين ، فالنابغة أشعر العرب عند عمر ، وزهير شاعر الشعراء عنده كذلك ، ان مثل هذه الأحكام تصادف الباحث في النقد عند العرب في بعض الاحيان ، لقد قدمنا ان النقد قائم على التأثر الوقتي أو على الافتعال السريع ، دون أن يكون فيه شمول أو تفكير طويل ، فالناقد يعجب بأبيات من الشعر فيقدمُ صاحبها ، فإذا خلا القلب من سحر هذه الابيات ، واختلف المواطن والأحوال ،

وتـأثر بشعر آخر قدم صاحبه ، ففي الأولي يفضـل النابغة علـى شـعراء قومـه خاصـة ، ويفضـل زهير علـى الشعراء أجمعين .

والرواة يحدثوننا أن الحطيئة هجاء الزبرقان بن بدر بقصيدة التي جاء فيها :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها وأقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

ويقال بأن الزبرقان بن بدر أتى الخليفة عمر بن الخطاب (رض) ومعه الحطيئة ، وقال لـه : لقد هجـاني هذا الشاعر ، عندما سمع الخليفة البيت السابق، قال : ما أسمع الهجاء ، ولكنـي أرى معاتبـة ، فقال الزبرقان : ألا تبلغ به مرؤتي وهمتي ، إلا أن آكل وألبس ؟ وبعث عمر في طلب حسان ليـعرف من أمر الشعر ،سأله ؟ فقال: لـم يهجـه ، ولكن سَلحَ عليـه ، وكـان هذا قضـاء مـن حسـان علـى أن البيـت مـؤلم ، وكـان حـاملاً للخليفـة علـى حـبس الحطيئـة ، وهـذا الحكـم تقدير لشـعر الحطيئـة وإفصـاح عـن قـوة معانيـه وشـدة ايلامهـا للنفوس .

والظاهر أن النقد في هذا العهد قد أتسع أفقه ، وتنوعت رجاله ، وجنح الى شيء من الدقة ، وحاول أن يحدد بعض خصائص الصياغة والمعاني ، وتأثر شيئاً ما بروح البناء والتأسيس التي سـادت ، فيما كـان يجد أمام المسلمين من شؤون التشريع ، وليس عجيباً أن كثيراً من الاعـجاب ينصرف في عصر البعثة والخلفاء الـى الشعر الخُلُقي ، الـى شعر الفضائل والعظات ، الـى شعر المروءة والهمم .